

فجوة بين المعرفة العلمية والملكة القلبية

استكشاف أسباب عدم تحول معارف علمية إلى ملكات قلبية

لماذا لا تنمو معرفة علمية وملكة قلبية جنباً إلى جنب؟

لماذا لا نملك من مهارات وقدرات أو ملكات بقدر ما نملك من معارف علمية؟

لماذا لا تتطور معرفتنا العلمية وملكاتنا القلبية بشكل متوازٍ؟

لماذا نجد أنفسنا إما عاجزين عن تطبيق ما نعلمه أو ضعفاء جداً في التنفيذ؟

تأمل هذا المثال: يمتلك معظم الآباء معلومات وفيرة عن [تربية الأطفال](#) من خلال الدورات والندوات والكتب، ولكن لماذا لا يطبقون هذه النصائح التربوية في تعاملهم مع أبنائهم؟ ولماذا نشعر بالخوف والهلع من الظلام أو الموت، على الرغم من إدراكنا العقلي بأنهما لا يشكلان خطراً ملموساً؟ الجواب يكمن في عدم تحول هذه المعارف إلى ملكات راسخة في قلوبنا، وإلى قناعات عميقة تؤثر في سلوكنا.

في سياق دروسنا السابقة، تطرقنا إلى مفهومي "المعرفة العلمية" و"الملكة القلبية" وعلاقتها الوطيدة، وأهميتهما القصوى. وكما نعلم، فإن العلم أو معرفة علمية مجردين لا يمنحاننا المهارة والقوة المنشودتين؛ بل إن التجسيد العملي لهذه المعارف، والمثابرة على التدريب، هما اللذان يوصلاننا إلى المعرفة الحقيقية، وإلى امتلاك القوة الكامنة. وعليه، فإن العلم الذي لا يثمر "ملكة قلبية" أو "صيرورة"، لا يكون مجرد عديم الفائدة، بل قد يتحول في كثير من الأحيان إلى عبء، إذ قد يورث صاحبه الغرور والتكبر.

كثيرون منا يكتفون بتكديس المعلومات دون الالتفات إلى الغاية الحقيقية من التعلم، وهي التطبيق العملي. وتزداد خطورة هذه المسألة عندما تتعلق بجانبنا الإنساني والروحي. فنحن بحاجة إلى أدوات تساعدنا على

التأقلم مع الحياة بعد الموت، وهذه الأدوات لا تُكتسب إلا من خلال تحويل العلم والمعرفة إلى الملكة القلبية. إذا لم نحصل عليها في حياتنا الدنيا، فسنواجه صعوبات شديدة في عالم البرزخ. في هذا الدرس، سنتناول موضوع معارف علمية وملكات قلبية في جانبنا الإنساني، وسنبحث في أسباب عدم تحول معرفة إلى ملكة قلبية راسخة، ثم ننتقل إلى استعراض الآثار والتبعات المترتبة على ذلك في حياتنا الدنيا والأخرى.

لماذا لا تتحول معارفنا إلى ملكات قلبية؟

كما ذكرنا سابقاً، تكمن القضية الأساسية في أن معارفنا لا تتحول إلى ملكات قلبية؛ أي أن ما نتعلمه يظل حبيس الأذهان ولا يجد طريقه إلى التطبيق العملي، وبالتالي لا يؤثر على جودة حياتنا. وهنا، نوجز بعض العوائق الهامة التي تحول دون تحويل المعرفة إلى ملكة قلبية.

غياب الشغف والحاجة

من أهم الأسباب التي تحول دون تحويل المعرفة إلى ملكة قلبية راسخة، هو أن الكثير منا يفتقر إلى شغف حقيقي واهتمام تجاه الموضوع المراد، ولا يشعر بالحاجة إليه. بمعنى آخر، نحن لا ننوي التغيير والضرورة منذ البداية، بل نسعى فقط لإشباع فضولنا العلمي وزيادة معلوماتنا. في ظل هذه الظروف، حتى لو حضرنا دروس أفضل الأساتذة وأبرزهم، أو حتى لو حظينا بشرف حضور مجالس المعصومين (عليهم السلام)، فلن يحدث فينا أي تحول جوهري. بينما إذا كان هناك شغف وحاجة ملحة تجاه موضوع ما، فإن ذلك الموضوع، مهما كان مصدره، سيؤدي إلى ملكة قلبية راسخة وإلى "تحول" حقيقي في النفس.

ترتيب المحبوبات الخاطئ

من أسباب اختلال توازن العلم ومملكة القلب، هو اضطراب أولويات المحبوبات في القلب. فإن لم نُنظِّم نظام محببتنا، ولم نجعل الله وأهل بيته (عليهم السلام) والجهاد في صدارة محبوباتنا، لن ينشأ فينا شوق للتقرب من الله وأهل بيته، وبالتالي لن نسعى لاكتساب ملكة قلبية سليمة، في هذه الحالة، حتى لو عملنا بعلمنا، لن نصل إلى ملكة القلب والمعرفة؛ لأن الأمر لا يقتزن بالقبول القلبي. لهذا السبب، نجد أن كثيراً من الناس يصلون ويصومون، لكن عباداتهم لا تثمر في إحداث تحول داخلي لديهم. تكمن المشكلة في أن التعلق بالمحبوبات الجمادية والنباتية والحيوانية والعقلية يطغى على حب المحبوبات الإنسانية و ماوراء العقلية، مما يجعلنا نسعى وراء كمالات سطحية و دنيوية بدلاً من السعي وراء كمالات أصيلة إنسانية.

الكسل والتراخي

الكسل والتراخي هما من الآفات والعوائق التي تحول بيننا وبين اكتساب الملكة القلبية. فبعضنا، على الرغم من غزارة علمه، يتسم بالضعف والفتور في التطبيق والممارسة، مما يحرمه من الوصول إلى المهارة والملكة القلبية المنشودة. كما لا يقتصر الأمر على مرحلة تحويل المعرفة إلى الملكة القلبية فحسب، بل إن الكسل يُعتبر عائقاً حتى في مرحلة طلب العلم نفسه. فالشخص الذي يفتقر إلى الاجتهاد والمثابرة لن يتمكن من التقدم في أيٍّ من الجانبين: لا المعرفة ولا ترسيخها في القلب كملكة قلبية.

هجمات الشيطان

من بين العوامل الأخرى التي تعيق مسيرتنا نحو اكتساب الملكة القلبية والمعرفة، هي هجمات الشيطان الأربعة، من الخلف والأمام واليمين واليسار. الشيطان عدونا اللدود، يستغل كل فرصة ليغرس فينا الغفلة عن العمل بما

نعلم، وتحويله إلى ملكة قلبية. ومن المؤكد أننا إن لم نكن على دراية كافية بالشیطان وهجماتة، فلن نقوى على مجابهته، وبالتالي لن نبليخ الملكة القلبية ولا المعرفة.

آثار عدم تحول العلم إلى ملكة قلبية

من أخطر آثار عدم تحويل العلم إلى ملكة قلبية، غياب السعادة والسكينة الداخلية. فالذات الحقيقية للإنسان لا تنعم بالسعادة والراحة إلا بالأنس والتشبه بالكمال المطلق، وتلقي أسماء الله وصفاته. لذا، عندما تظل المعرفة حبيسة الذهن دون أن تتحول إلى ملكة قلبية، فإنها تترك الإنسان فريسة للقلق، والحزن، والاضطراب في حياته.

ومن الآثار السلبية الأخرى أن العلوم التي لا تتحول إلى ملكات قلبية تصبح عبئاً إضافياً يثقل كاهلنا. فمهما امتلكننا من علم ومعرفة، لن يكون لذلك أي فائدة ما لم يصل إلى مرحلة الإدراك العميق والمعرفة الحقيقية. فالحياة الآخرة لا تقوم على ما خزّنناه في أذهاننا من معلومات، بل على المهارات والخصائص التي صارت جزءاً من كياننا. خذ على سبيل المثال شخصاً يمتلك معرفة واسعة عن الأخلاق الفاضلة، لكنه في الواقع سريع الغضب، ويحمل في قلبه الأحقاد، ومتشائم، وعصبي، وغير متسامح. هذا الشخص لم يكتسب أدوات لازمة للحياة الأبدية، فإنه بالإضافة إلى غياب السعادة والسكينة في الدنيا، سيعاني من العذاب في الآخرة.

ومن العواقب الخطيرة الأخرى لعدم تحويل العلم إلى ملكة قلبية، نشوء الوهم. الشخص الذي يكتفي بجمع المعلومات دون أن يسعى ليصبح إنساناً جديداً يشبه البالون الذي يتمدد بالهواء دون جوهر حقيقي وينمو مُوَّاً زائفاً، ويقوده وهم المعرفة إلى الغرور والتكبر، مما يجعل قلبه قاسياً لا يتقبل أيّ حقائق جديدة. ومع مرور الوقت، يصبح هذا الشخص عاجزاً عن التأثير بالمواعظ والنصائح، حتى لو كانت واضحة كالشمس.

في هذا الدرس، تناولنا العلاقة بين المعرفة والملكمة القلبية، وسبرنا أغوار العوامل التي تحول دون تحويل المعرفة إلى ملكة متأصلة، وما يترتب على ذلك من آثار وعواقب في حياتنا الدنيا والأبدية. أوضحنا أن عدم الاكتراث بما نتعلمه، وعدم تطبيق هذه المعارف في حياتنا العملية، وترتيب الأولويات بشكل خاطئ، والكسل والضجر، ووساوس الشيطان، كلها عوامل تعيق هذا التحول. ثم تطرقنا إلى الآثار السلبية لامتلاك المعرفة دون امتلاك الملكمة القلبية، والتي تتمثل في فقدان السعادة والطمأنينة الداخلية، والوقوع في شرك الغرور والتكبر، والحرمان من السعادة الأبدية.

يسعدنا أن نستمع إلى آرائكم حول العلاقة بين المعرفة والملكمة القلبية، وحول الآثار المترتبة على عدم اكتساب هذه الملكمة.